الآداب | مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
للدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508

6 العـــدد السادس
يـــونيو 2020

# الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة: أسبابه ومظاهره

د. هند بنت عبدالرزاق المطيري*

al-adeeebah000@homail.com

**الملخص:**

تتناول هذه الدراسة المعنونة بـ(الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة: أسبابه ومظاهره) ملمحا بارزا من ملامح شعر عمر بن أبي ربيعة، رائد الغزل الحسي في الثقافة العربية، لم يحظ بعناية الدارسين من قبل، بالرغم من قدم الإشارة إليه في كتب الأخبار. ذلك الملمح هو ما اصطلح أبو الفرج الأصفهاني على تسميته بـ(الابتيار). وقد خصّ صاحب الأغاني عمر بن أبي ربيعة بهذا المصطلح، الذي عرّفه بأنه: أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفتخر به. وقد سعت الدراسة إلى مناقشة هذا الملمح المميز في شعر الشاعر، الذي لم يتنبه إليه دارسو شعر عمر، متتبعة أسبابه وبواعثه؛ من حياة الشاعر وأخباره من جهة، ومن مواضعات الثقافة العربية من جهة أخرى. ثم قصدت الدراسة -بعد ذلك- استجلاء مظاهر هذا الابتيار في نماذج من شعر عمر بن أبي ربيعة، منتهية إلى أن هذا الابتيار كان ابتيارا نفسيا لا واقعيا.

**الكلمات المفتاحية:** الابتيار؛ الشعر؛ الثقافة؛ عمر بن أبي ربيعة.

* أستاذ الشعر العربي القديم المساعد - قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب - جامعة الملك سعود - المملكة العربية السعودية.

# The Ibtiyar in the Poetry of ʿUmar Ibn AbīRabīʿah: Its Causes and Manifestations

Dr. Hind AbdulrazaqAL-Mutairi*

al-adeeebah000@homail.com

**Abstract:**

The current study in its title "The Ibtiyar in the Poetry of ʿUmar Ibn AbīRabīʿah: Its Causes and Manifestations" deals with a prominent feature of the poetry of ʿUmar Ibn AbīRabīʿah, the pioneer of sensory *Ghazal* in classical Arabic literature. However, this feature has not been studied carefully, despite the old reference of it in some classical narrative books. This feature was called by **Abū al-Faraj al-Iṣbahānī***Ibtiyar* in describing, particularly the Poetry of ʿUmar Ibn AbīRabīʿah, and he defined this term as "when a person does something, mentions it, and be proud of it". This study seeks to discuss this distinctive feature of the poet's poetry since those who have studied Umar's poetry did not notice it. It will trace its causes and motivations from the life of the poet himself and from the anecdotes that were narrated about him on the one hand, and from the traditions of the Arab culture on the other hand. Then, the study will try to clarify the manifestations of this poetic feature through analyzing samples of ʿUmar Ibn AbīRabīʿa's poetry, concluding that this feature of *Ibtiyar* was psychological, rather than a realistic one.

**Key Words:** The Ibtiyar, Poetry, Culture, ʿUmar Ibn AbīRabīʿah.

* Assistant Professor of Classic Arabic Poetry. Department Of Arabic Language and Literature, College Of Arts, King Saud University., Saudi Arabia.

**المقدمة:**

يعد عمر بن أبي ربيعة المخزومي رائد الغزل الصريح في الشعر العربي القديم دون منازع، وهي ريادة لم تتأت من التميز الشعري أو الخروج على متعارف العرب في أشعارها؛ فنيّا وموضوعيا، إنما جاءت من اشتغال الشاعر بهذا النوع من الشعر دون سواه، وابتكاره فيه لأساليب لم تعرف عند السابقين من شعراء الغزل.

تلك الريادة لم تكن أبدا موضع خلاف بين الدراسين، الذين جعلوا ابن أبي ربيعة عَلَمًا لهذا الغرض الشعري. يأتي ذلك منذ أقدم الدراسات التي تناولت الشاعر وشعره، وهي دراسات أخذ بها الباحثون المتأخرون بعدهم. لكن تلك الدراسات –على كثرتها- لم تعن بالبحث عن الأسباب الشخصية والخاصة جدا، التي أدت إلى تلك الريادة المطلقة في هذا الباب. ومن ذهب يبحث عن تلك الأسباب فقد ذهب إلى الحديث عن أسباب عامة، تتعلق بالعصر الأموي وبظروف البيئة الحجازية، مما يتفق فيه الشاعر مع آخرين من عصره، اشتهروا مثله بهذا النوع من الغزل، لكنهم لم ينالوا الريادة التي نالها، كالأحوص والعرجي، أو بحث في أسباب أخرى خاصة، تتعلق بثراء أسرة الشاعر ومكانتها، وهي مما خضع له شعراء آخرون، منهم المتقدم في حديث الغراميات مثل امرئ القيس بن حجر، والمعاصر مثل العرجي.

وشعر عمر بن أبي ربيعة يتميز عن شعر هؤلاء جميعا، مثلما تميزت أخباره الغرامية، التي شكك بعض الباحثين في صدقها الواقعي[1]، ما يجعل شعره الذي يُحاكيها واقعا بين زاويتي الابتيار والابتهار، على ما ورد عند أبي الفرج الأصفهاني الذي تناول أخبار عمر بن أبي ربيعة، وذكر أنه كان (يبتار) في شعره، أي أنه يفعل ثم يقول ما فعل. هذا الابتيار هو ما يعني الدراسة، وما تحرص على تفسيره، وتحديد الزاوية الخاصة به، وهي زاوية شخصية ينفرد بها عمر بن أبي ربيعة عن سابقيه ومعاصريه.

إن البحث في أسباب هذا الابتيار ومظاهره في شعر عمر بن أبي ربيعة هو ما تسعى الدراسة إلى استجلائه؛ مستعينة بالمنهجين الاستقرائي والوصفي، بحيث تتبع الظاهرة في الأخبار والأشعار، ثم تصف مظاهرها وتجلياتها في الشعر خاصة، مع الاسترشاد–في أثناء ذلك- بالدراسات النفسية للأدب؛ لما لها من الاختصاص في دراسة أحوال الشخصية، وما يعترضها من المؤثرات.

**الابتيار: المصطلح والاشتهار النقدي**

ورد مصطلح (الابتيار) وصفا لشعر عمر بن أبي ربيعة في رواية لأبي الفرج الأصفهاني في الأغاني، بقوله: "أخبرني الحِرْمي بن أبي العلاء قال: حدّثنا الزبير بن بكار قال: أدركت مشيخة من قريش لا يزِنون بعمر بن أبي ربيعة شاعرا من أهل دهره في النسيب، ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلي بمودته والابتيار في شعره. والابتيار: أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفتخر به، والابتهار: أن يقول ما لم يفعل"[(2)].

ولم ترد مفردة ابتيار في مادة (ب و ر) في المعاجم العربية، لكن ابن منظور يذكر الابتيار في مادة (ب هـ ر)، يقول: "وبهرها بهُتان: قذفها به. والابتهار: أن ترمي المرأة بنفسك وأنت كاذب، وقيل: الابتهار أن ترمي الرجل بما فيه، والابتيار أن ترميه بما ليس فيه". ثم عاد -معلقا على حادثة لغلام ابتهر امرأة، في عهد عمر بن الخطاب، فرفع أمره إلى عمر فلم يوجد الثبت فدرأ عنه الحد- قائلا: "قال أبو عبيدة: الابتهار أن يقذفها بنفسه فيقول: (فعلت بها) كذبا، فإن كان صادقا قد فعل فهو الابتيار على قلب الهاء ياء؛ قال الكميت:

قبيحٌ بمثْلي نَعْتُ الفَتَا ة، إمّا ابْتِهارا وإمّا ابْتِيارا"[(3)]

ويلاحظ على ما أورده صاحب اللسان أنه يضطرب اضطرابا كبيرا في المصطلحين، فـ(الابتيار) يأتي مرة موافقا لمعنى الكذب؛ في قوله: "الابتيار أن ترميه بما ليس فيه"، ومرة موافقا لمعنى الصدق، في قوله: "فإن كان صادقا قد فعل فهو الابتيار على قلب الهاء ياء". ثم يضطرب

ابن منظور في دلالة الابتهار أيضا، إذ يقول: "وقيل: الابتهار أن ترمي الرجل بما فيه"، ثم يقول نقلا عن أبي عبيدة: "الابتهار أن يقذفها بنفسه فيقول: (فعلت بها) كذبا". ويقول في موضع آخر: "الابتهار قول الكذب والحلف عليه، والابتهار ادعاء الشيء كذبا...، وابتهر فلان بفلانة: شُهِرَ بها". ثم يقول معلقا على قول عمر بن أبي ربيعة:

ثمّ قالوا: تُحِبُّها؟ قُلْتُ: بَهْرًا عَدَدَ الرّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ

"وقيل: معنى بَهْرا في هذا البيت جَمًّا، وقيل: عَجَبا". فالبهر هنا في البيت ليس الكذب، بل الصدق في وصف فرط الحب (جمّا)، وهو العجب الذي قد يدل على معنى الإعجاب، كما يدل على معنى التعجيب والإتيان بالعجائب.

وعلى هذا المعنى الأخير يأتي قبله تعليق ابن فارس على بيت عمر بن أبي ربيعة السابق، إذ يقول في مادة (بهر): "فقال قوم: معناها بهرا لكم، وقال آخرون: معناها حُبًّا قد غلب وبَهَر. وقال آخرون: معناه قلت ذلك مُعْلنا غير كاتم له. قال: ومنه ابتُهر فلان بفلانة إذا اشتهر بها. ويقال ابتُهر بالشيء شُهِر به وغلب عليه. ومنه القمر الباهر، أي الظاهر"[4].

فالابتهار،فيما رواه ابن فارس، ليس الكذب بل الاشتهار بالشيء، وهو الحب الغالب على الشخص حتى يصير شهرة له. ومن المعلوم أن شعراء الغزل العذري، الذي يشكل الاتجاه المعاكس لاتجاه عمر بن أبي ربيعة، يشتهرون بمحبوباتهم ويعرفون بهن، ولم يقل قائل في هذا الاشتهار أنه رمى المرأة بما ليس فيها، أو أنه من الكذب.

ويزيد الزبيدي في تاج العروس في مادة (ب و ر) دلالة (الاختبار)، بقوله: "والبَوْرُ (الاختبار) والامتحان، (كالابتيار)، وبَارَه بَوْرًا وابْتاره، كلاهما اختبره. ويقال للرجل إذا قَذَفَ امرأة بنفسه أنه فَجَرَ بها، فإن كان كاذبا فقد ابتهرها، وإن كان صادقا فهو الابتيار، بغير الهمزة، افتعالٌ من: بُرْتُ الشيء أبُورُهُ: اختبرته". ثم يأتي الزبيدي ببيت الكميت الذي أورده سابقوه:

قبيحٌ بمثْلي نَعْتُ الفَتَا ة، إمّا ابْتِهارا وإمّا ابْتِيارا"

ويقول معلقا عليه: "يقولُ: إمّا بهتانا، وإما اختبارا بالصدق؛ لاستخراج ما عندها"[5].

ويقول الزبيدي أيضا: "و(بَارهُ) يَبُورُه بوْرًا: (جَرَّبَه)، واختبره، ومنه الحديث: "كنا نَبُورُ أولادنا بحُبِّ علي رضي الله عنه"، (و) من المجاز: بار (النَّاقة) يَبُورُها بَوْرًا، إذا (عَرَضَها على الفَحْلِ لِيَنْظُرَ: ألاقِحٌ) هي (أم لا؛ لأنها إذا كانت لاقِحا بَالت في وجهه)، أي الفَحْلُ، إذا تَشَمّمَها"[6]. ويذكر الزبيدي قبلها، من المجاز أيضا (ابتارها) إذا نكحها[7]، ثم يذكر: "بار (الفحلُ الناقةَ) وابتارَها، إذا (تشمّمَها، ليعرف لِقاحها من حِيالها)"[8].

وجاءت مادة (بهر) عند الزبيدي بزيادة على المعنى الذي ورد عند ابن منظور وابن فارس أيضا. ونخص هنا من المادة ما له صلة ببيت عمر بن أبي ربيعة السابق، إذ يقول في مادة (بهر): "والبَهْرُ الحُبُّ، هكذا في النُسخ، والذي نُقل عن ابن الأعرابي أنه قال: والبَهْرُ الخَيْبةُ. والبَهْرُ الفَخْرُ، وأنشد بيت عمر بن أبي ربيعة،... وبيت عمر بن أبي ربيعة الذي أشار إليه هو قوله:

ثمّ قالوا: تُحِبُّها؟ قُلْتُ: بَهْرا  عَدَدَ الرّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ

وقيل: معنى (بَهرًا) في هذا البيت جمّا، وقيل: عَجَبا. قال أبو العباس: يجوز أن كل ما قاله ابن الأعرابي في وُجُوه البَهْرِ أن يكون معنى لما قال عُمرُ، وأحسنها العجب"[9]. ثم قال: "والبَهْرُ (القذْفُ والبُهتان)، يقال: بهرها ببهتان إذا قَذَفَها به"[10]. "(وابْتَهَرَ) الرجلُ (ادّعى كذبا)...، قالوا: الابتهار قول الكذب، والحلف عليه. وفي المحكم: الابْتِهارُ: أن ترمي المرأة بنفسك وأنت كاذب...، قال: الابْتِهَارُ أن تقذفها بنفسك فتقول: فعلتُ بها، كاذبا، فإن كان صادقا قد فَعَلَ فهو الابْتيارُ، على قلب الهاء ياء،...، قيل: (ابتهر) إذا (رماه بما فيه)، وابْتَأرَ إذا رماه بما ليس فيه"[11].

والزبيدي فيما سبق من تأصيله للمادتين، يزيد على معنى (الابتيار) دلالة الاختبار، التي تقضي بالتحقق من صدق المرأة في الحب، واختبار الأبناء في محبة علي رضي الله عنه، واختبار الفحل للناقة. كما يزيد عليها أيضا دلالة النكاح، الذي يكون للبشر أيضا، ويكون بعد اختبار

المحبة أو اختبار صحة النسب وغيرها مما يسبق النكاح. كما يزيد الزبيدي على دلالة الابتهار معاني: الحب، والخيبة، والفخر، والعجب، ويذهب إلى استحسان الأخيرة، على أنها ما قصده عمر بن أبي ربيعة في جوابه لمن سأله عن الحب (قلت بَهْرا).

تلك الزيادات في مادة (بهر) وردت عند الفيروزآبادي قبله، إذ يقول في مادة بهر : "البُهْرُ بالضم... البعد والحب والكرب والقذف والبهتان والتّكليف فوق الطاقة والعَجَب، وبُهرا له أي تعسا، وبَهَرَ القمر كمنع، غلب ضَوْؤهُ الكواكب"[12]. ويورد صاحب القاموس الاختبار في مادة (بور)، يقول: "البَوْرُ الأرض قبل أن تصلح للزرع أو التي تُجَمُّ لتزرع من قابل، والاختبار كالابتيار والهلاك، وأباره الله، وكسَادُ السوق كالبوار فيهما"[13].

إن دلالة الاختبار في مادة (بور) كانت قد وردت عند ابن فارس أيضا، مع أنه لم يذكر (الابتيار) في تلك المادة -وهو ما فعله ابن منظور من بعده- إذ يقول: "الباء والواو والراء أصلان: أحدهما هلاك الشيء، والآخر ابتلاءُ الشيءِ وامتحانه"[14].

وخلاصة القول في الدلالة المعجمية لمفردة (الابتيار) أنها تدل على الاختبار، وعلى الهلاك والفساد والكساد، الذي قد يكون ناتجا عنه، كما تدل على صدق المختبر فيما وصل إليه علمه من حقيقة الشيء أو عدمها. كما أن (الابتهار) يدل على المشقة، التي قد يكون الحب والبعد والتكلف والعجب والشهرة بالشيء سببا لها، كما قد يكون القذف والبهتان سببا آخر، لما فيهما من مشقة الادعاء، ومشقة دفع هذا الادعاء.

هذا ما يخص الدلالة المعجمية، أما الاشتهار النقدي، فقد بدا للباحثة أن النقد القديم لم يعن بتحديد المصطلحين، ولم يأت على شيء منهما في حديث النقاد عن الصدق والكذب في الشعر خاصة[15].

وهنا يمكن القول: إن صاحب هذين المصطلحين، وصفا للشعر، هو أبو الفرج الأصفهاني، الذي تكفل بتعريفهما، فجعل (الابتيار): أن يفعل الإنسان الشيء فيذكره ويفتخر به، أما (الابتهار) فهو: أن يقول ما لم يفعل.

وقد خص الأصفهاني بالمصطلح الأول شعر عمر بن أبي ربيعة، فعمر يبتار في شعره، أي يقول ما فعل، فما معنى (بهرا ) في بيت عمر بن أبي ربيعة؟

يبدو للباحثة أن (بَهرا) هنا تعني كذبا وفق مصطلح الأصفهاني، ليس لأنه ذهب إلى أن عمر كان يفعل الشيء فيذكره ويفتخر به فحسب، بل لأن الشاعر في البيت يجعل من العدد وصفا لحبه (عدد الرمل والحصى والتراب)، والحب لا يقاس بالكمّ والعدد، بل بالكيف، وهو ما لا يظهر في شعر عمر، الذي درج في شعره على أن يكون معشوقا لا عاشقا، إلا أن يكون قد أراد بهذا الوصف عدد قصائده التي نظمها في النساء، فإنه في هذا يكون صادقا.

وعامة، فإن بيت عمر هذا معيب عند القدماء، جاء في الأغاني: "قال إسحاق: قال الأصمعي: عمر حُجّةٌ في العربية، ولم يؤخذ عليه إلا قوله:

ثمّ قالوا: تُحِبُّها؟ قُلْتُ: بَهْرًا  عَدَدَ الرّمْلِ والحَصَى والتُّرابِ

وله في ذلك مخرج، إذ قد أتى به على سبيل الإخبار. قال: ومن الناس من يزعم أنه قال: قِيْلَ لي هَلْ تُحِبُّها قُلْتُ: بَهْرا"[16]. وقال المبرد في الكامل: "وقالوا: أراد (أتحبُّها)، وهذا خطأ فاحش، إنما يجوز حذف الألف إذا كان في الكلام دليل عليها"[17].

وبعيدا عن هذا الجدل النحوي، فإنه مادام النظر قد خلص إلى الأخذ بمصطلح الأصفهاني في وصف شعر عمر بن أبي ربيعة، وأنه يبتار في شعره، فقد بقي السؤال عن حدود هذا الابتيار، وهل كل ما قال عمر بن أبي ربيعة من الشعر كان ابتيارا؟

الإجابة عن هذين السؤالين هي ما تسعى إليه الدراسة، وذلك بالكشف عن أسباب الابتيار ومظاهره في شعر عمر بن أبي ربيعة، على ما سيأتي بيانه في محاور هذه الدراسة تباعا.

**أسباب الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة:**

الحديث عن أسباب الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة ليس حديثا عن أسباب انتشار الغزل الصريح في البيئة الحجازية؛ لأن ذلك مما تكفل به الدارسون من قبل. وقد سبق أن وصفت الدراسةُ تلك الأسباب التي أتى عليها الدارسون بالعمومية والبعد عما هو شخصي وخاص. ولأن الدراسة الحالية تسعى إلى استجلاء الجوانب التي لم يقف عندها الدارسون، فإنها ستحرص على تجنب المذكور والمكرور في سبيل البحث عن الخاص والفريد، ومنه:

**1- ازدراء الثقافة العربية لبعض القيم بحسب الجنس**

لقد كان من طبيعة العرب الميل إلى تقسيم الفضائل والمحاسن التي تمجدها الثقافة العربية، ويحتفي بها الشعر، بحسب الجنس الذي تكون وصفا له، فما يمتدح به الرجل عادة قد يكون مما يعاب عند وصف النساء به، يقول الحصري في زهر الآداب: "والتصرف في النساء ضيق النطاق، شديد الخناق، وأكثر ما يمدح به الرجال ذمّ لهن، ألا ترى أن الجود، والوفاء بالعهود، والشجاعة والفطن، وما جرى في هذا السنن، من فضائل الرجال، ولو مدح النساء به لكان عيبا عليهن وذمًّا لهن"[(18)]. ولذا فمن البديهي القول بأن أضداد بعض القيم التي احتفى بها العرب في جنس من الجنسين، كانت مما يستهجنونه ويزرون على من اتصف به من غير جنسه.

وقد نهض الوعي العربي بتحديد قيم المفاخرة التي تكون للرجل دون المرأة، وهي قيم ترتبط بوظيفته في المجتمع؛ لذا "كانت قوة البنية العنصر الحسي الأبرز في تقويمه، لما لذلك من علاقة بمهام القتال، أما بقية عناصر تقويمه فمرتبطة، بهذا الشكل أو ذاك، بالمهمة الخطيرة التي تتجسد في الدفاع عن القبيلة، وتأمين وجودها"[(19)]. ومن هنا كانت أصول الفضائل التي يمدح بها

الرجال عند قدامةبن جعفر، "على ما عليه أهل الألباب من الاتفاق في ذلك إنما هي العقل والشجاعة والعدل والعفة"[20]. وقد أفاض قدامة في فروع تلك المعاني التي يمتدح به الرجال، وهي معان نفيسة، من مدح بها فقد أصاب ومن مدح بغيرها فقد أخطأ. ويبدو أن الفخر والمفاخرة داخلة في باب المديح عند قدامة الذي جعل أغراض الشعر التي يحوم حولها الشعراء ويرومونها: المديح والهجاء والنسيب والمراثي والوصف والتشبيه[21]؛ فكيف تكون الحال مع الحسن والجمال، حين يروم الرجل الافتخار بها؟

لقد قصرت الثقافة العربية الوصف بالجمال على الطبيعة والمرأة. و"إنما كان حظ المرأة من إعجابهم أعظم جدا من حظ الطبيعة، ولذلك اتخذوها للجمال رمزا"[22]. وقد نأت الثقافة العربية بشدة عن وصف الرجل بالحسن، أو حتى بالحرص على طلبه بالتزين والتدهن والتطيب، لأن ذلك من شأن النساء. يقول الشنفرى الصعلوك، نافيا عن نفسه أن يكون متشبها بالنساء في طلب الزينة:

وَلَا خَالِفٍ دَارِيّةٍ مُتَغَزِلٍ  يَرُوحُ وَيَغْدو دَاهِنًا يَتَكَحَلُ[23]

فالشاعر، وهو صعلوك جاهلي متمرد على قيم المجتمع، مازال يتبنى المواضعات الاجتماعية المتعلقة بالفرق بين الجنسين في النظر إلى تجمل الرجل وتزينه. ثم يأتي عمرو بن معدي كرب ليؤكد الوعي العربي الإسلامي بمفهوم الجمال، حين يقول:

لَيْسَ الجَمَالُ بِمِئْزَرٍ  فاعلم وإن رُدّيْتَ بُرْدَا
إنّ الجَمَـالَ مَعَـادِنٌ  وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثْنَ مَجْدَا[24]

فالرجل يتزين بالفضائل الخُلقية والمناقب الحميدة التي تورثه الذكر الحسن، أما جمال الوجه فلا يزيد في رجولته ولا ينقص. هذا ما كانت عليه الثقافة العربية عامة في موقفها من جمال الوجه للرجل وللمرأة، فالجمال والحسن من صفات النساء؛ لذا لا يحمد للرجل أن يتغنى بحسنه وجمال وجهه أبدا.

وإذا أراد الرجل أن يجتذب النساء فلابد أن يختار من الصفات ما يجذبهن إليه، وهنا يحدد قدامة بن جعفر ما يكون مقبولا في الغزل، إذ يقول: "والذي يميلهن إليه هو الشمائل الحلوة والمعاطف الظريفة والحركات اللطيفة والمزاح المستغرب"[25]. فقدامة هنا لا يذكر جمال الوجه والوسامة والحسن فيما يجذب النساء إلى الرجال.

لكن القرآن الكريم يذكر ذلك ويجليه في قصة يوسف عليه السلام، فزليخة؛ امرأة العزيز تعلقت يوسف لجماله وبهائه وحسنه، ونساء المدينة وجدن ذلك عذرا مقنعا، حين جمعتهن لينظرن بأمّ العين أيَّ حُسْنٍ وقعت عليه عيناها؛ فوقع قلبها في شركه. يقول ابن كثير في شرح قوله تعالى: [وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ ۖ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ][26]. وذلك أنها أحبته حبّا شديدا لجماله وحسنه وبهائه"[27]. وقد أثبتت زليخة تلك الفتنة التي وقعت فيها بسبب جمال يوسف لنسوة المدينة اللاتي رأينه وأكبرنه وقطعن أيديهن، [وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ][28].

وقد اتخذت الثقافة الإسلامية –فيما بعد- موقفا سلبيا من جمال الرجل، فتشدد الفقهاء في الدعوة إلى تجنب صحبة المردان من الرجال، وعلى كفّهم عن حضور المجالس، حتى مجالس الذكر منها، حتى لا يفتتن بهم. وقد ذهب ابن تيمية إلى أنه قد "قدم وفد عبد القيس على النبي -صلى الله عليه وسلم- وفيهم غلام أمرد ظاهر الوضاءة، فأجلسه النبي -صلى الله عليه وسلم- وراء ظهره وقال: كانت خطيئة داوود في النظر"[29].

وكان غزل المرأة بالشاب الجميل مجرّما عند الخلفاء الراشدين، فقد بلغ عمر بن الخطاب "أن شابا يقال له (نصر بن حجاج) تغنت به امرأة فأخذ شعره، ثم رآه جميلا فنفاه إلى البصرة، وقال: "لا يكون عندي من تغني به النساء"[30]. وهذا المصير هو ما صار إليه عمر بن أبي ربيعة – أيضا- حين "سيّره عمر بن عبد العزيز إلى الدَّهْلَك"[31].

وقد كان عمر بن أبي ربيعة جميلا حسن الوجه، أيضا، يقول أبو الفرج في أخبار الشاعر: "حجّت امرأة من بني أميّة يقال لها أُمّ الحَكَم، فقدمت قبل أوان الحجّ معتمِرةً، فبينا هي تطوف على بغلة لها إذ مرّت على عمر بن أبي ربيعة في نَفَرٍ من بني مخزوم وهم جلوسٌ يتحدثون، وقد فرعهم طولا وجهرهم جمالًا وبهَرهم شارةً وعارضةً وبيانا"[32]. وكان عمر فوق حسنه معنيًّا بحسن هندامه وطلته، يقول صاحب الأغاني: "وكان عمر يَقْدم فيعتمر في ذي القعدة ويُحلُّ، ويلبس تلك الحُللَ والوَشْيَ، ويركب النجائب المخضوبة بالحناء عليها القطوع والديباج، ويُسْبِل لِمّته، ويلقى العراقيات..." [33]. إن هذا الربط بين جمال عمر ولقاءاته بالنساء يأتي في غير موضع من الأغاني، فما سره إن لم يكن هو لبّ العناية وأصل الفتنة؟

وكان عمر -فوق ذلك مفتونا- بالحسن والجمال في الرجال يتتبعه، حتى في سني هرمه وشيبته، وقد وردت أخبار تدل على ذلك في الأغاني، منها -على سبيل المثل لا الحصر- لقاؤه وقد أسنّ بمصعب بن عروة بن الزبير وأخيه عثمان في مكة بعد الطواف، وما دار بينهم من حديث، جاء فيه: "إني رأيتكما فراقني حُسنكما وجمالكما، فاستمتعا بشبابكما قبل أن تندما عليه"[34]. ومنه أيضا ما رواه صاحب الأغاني نقلا عن المغيرة بن عبد الرحمن عن أبيه: "حججت مع أبي وأنا غلام وعلي جُمّة، فلما قدمت مكة جئتُ عمر بن أبي ربيعة، فسلمتُ عليه وجلست معه، فجعل يمدّ الخصلة من شعري ثم يُرسلها فترجع على ما كانت عليه، ويقول: واشباباه! حتى فعل ذلك مرارا"[35]. ومنه أيضا: "رأى عمر بن أبي ربيعة رجلا يطوف بالبيت وقد بهر الناس بجماله وتمامه، فسأل عنه فقيل له: هذا مالك بن أسماء بن خارجه، فجاء فسلم عليه وقال له: يا أخي، ما زلت أتشوقك..."[36]. ومنه ما ورد في رواية عن الحرمي عن أبي عصيدة قال: "ذكر ابنُ الكلبي أن عمر بن أبي ربيعة كان يُساير عروة بن الزبير ويُحادثه، فقال له: وأين زينُ المواكب؟ يعني ابنه محمد بن عروة، وكان يسمى بذلك لجماله، فقال عروة: هو أمامك؛ فركض يطلبه، فقال له عروة: يا أبا الخطاب، أولسنا أكفاءً كِراما لمحادثتك ومسايرتك، فقال: بلى بأبي أنت وأمي! ولكني مُغْرى بهذا الجمال أتبعه حيث كان، ثم التفت إليه وقال:

إنّي امْرؤ مُوْلَعٌ بالحُسْنِ أتْبعُهُ  لا حظّ لي منهُ إلا لَذَّةُ النّظرِ"[37]

والشاعر في هذه الأخبار إنما يحنّ إلى شبابه، وما كان عليه من الحسن والجمال. هذا ما تؤكده الأخبار السابقة في تركيزها على الجمال بطريقة مباشرة، سواء كان بلفظه أم بذكر بعض لوازمه، مثل الجمّة والخصلة من الشعر، وهي أخبار تؤكد شعور عمر بن أبي ربيعة بتميزه في هذا الجانب على أقرانه. ولأنه لا يستطيع، ولا يملك –بحكم معايير المفاخرة الذكورية المحمودة في الثقافة العربية- أن يقول شيئا عن نفسه في هذا الباب فقد جعل المرأة تتكلف في شعره ما لا تتكلفه النساء عادة من الثناء عن حسن الرجل وجماله. وفي أخبار مواعدة النساء للشاعر ما يدل على اشتغالهن بحسنه عن كل شاغل آخر من فروسية، وفتوة، وقوة جسدية، وغير ذلك مما هو في العادة ضالة المرأة فيمن تقع في حبه، على ما يظهر في شعر الفرسان في مختلف العصور.

ويبدو أن القدماء كانوا قد عابوا عمر في حديثه عن ولع النساء بحسنه وجماله، وعدم جريانه على سنة الشعراء في الغزل، فقد روى صاحب الأغاني نقلا عن ابن أبي عتيق تعليقا على أبيات له في النسيب: "أنت لم تنسب بها، وإنما نسبت بنفسك"[38]. وجاء في الكامل للمبرد تعليق على أبيات أخرى لعمر: "أردت أن تنسب بها فنَسَبتَ في نفسك، أهكذا يقال للمرأة؟ إنما توصف بالخفر، وأنها مطلوبة ممتَنِعة"[39]. ومثله قول بديح في خبر طويل في الأغاني: "والله ما بالى ابنُ أبي ربيعة أوقع عليهن أم وقعن عليه"[40].

ولأن عمر يشبه النساء في حسنه ودله، فقد "كان عمر جميلا، حببه جماله إلى قلوب النساء وساعده في الوصول إليهن، وكان لبّاسًا حسن الزّي والشارة، إذا لبس ثوبا شُهر به"[41]. وقد أحس ذلك في نفسه، إلا أنه لم يشع عند العرب غناء الرجل بجماله وحسنه مباشرة، أو مفاخرته لأقرانه بأنه الأجمل والأصبح والأبهى، فقد اضطر إلى أن يجري ذلك على ألسنة النساء اللواتي تشكل قيمة الجمال محور عنايتهن وبؤرة نظرهن[42].

وهنا يمكن القول: إن المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة كانت وسيلة يخفي خلفها ما يحسه من إعجاب بحسنه وجماله، بعد أن اضطرته المواضعات الثقافية في معايير المفاخرة الذكورية إلى هذا النوع من الإعلان عن جماله وحسنه على لسان النساء، فكان غاية ما يظهرن عند ذكره، هذا الحسن الذي اشتهر به. وهذا هو ما ذكره صاحب الأغاني في خبر الابتيار في شعر عمر، حين قال رواية عن مشيخة قريش: "ويستحسنون منه ما كانوا يستقبحونه من غيره من مدح نفسه والتحلي بمودته".

وفي أخبار عمر في الأغاني ما يشبه قصة يوسف مع زليخة، إذ كانت النساء يجتمعن لرؤيته، ويحتلن لذلك الحيل، وأدل شيء على ذلك ما رواه صاحب الأغاني عن عمر لما أسنّ وتقدم به العمر، ومازالت النساء يتعشقنه ويفتتن به، وفي ذلك أنه مرّ يوما بعجوز وقد أسنّ وضعف، وكانت إلفا له في الماضي، فجلس عندها يحادثها، وبينا هما كذلك إذ أطلعت رأسها من البيت، وقالت: يا بناتي، هذا أبو الخطاب عمر بن أبي ربيعة، فإن كُنتنّ تشتهين أن ترينه فتعالين. فجئن إلى مضرب قد حجزن به دون بابها فجعلن يثقبنه ويضعن أعينهن عليه يبصرن[43].

وهكذا كانت فتنة عمر بن أبي ربيعة في نفسه وفي غيره طاغية، تشهد عليها أشعاره وأخباره، وكلاهما يؤكد أن عمر كان جميلا، وكان يقول إنه جميل، وهذا من الابتيار.

**2- نشأة عمر بن أبي ربيعة بين النساء وأثر ذلك على شخصيته**

ولد عمر بن أبي ربيعة في مكة[44]، لأب مخزومي قرشي موسر، هو عبد الله بن أبي ربيعة، وهو من أكثر قريش مالا، وكان متجره في اليمن، ولأم حضرمية، يقال لها (مَجْد) [45]. وكان عمر قد ولد في نهاية خلافة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، وقيل يوم مقتله تحديدا، حتى قيل في ذلك: "أي حقّ رُفع وأي باطل وضع؟"[46]. وكان عبد الله بن أبي ربيعة مشغولا عن تربية ابنه عمر بتجارته وولايته على الجند؛ منذ عصر النبي، صلى الله عليه وسلم، إلى عهد عثمان، حيث كانت وفاته[47].

ولأن الوالد مشغول دائما، فقد تحملت الأم مسؤولية تربية ابنها الوحيد، "فبالغت في الاهتمام به وتدليله وتزيينه، وترك الحبل له على الغارب كما تفعل أمّ شابة غنية بوحيدها الصغير الجميل"[48]. وقد أثرت هذه التربية الأنثوية على عمر بن أبي ربيعة، فطبعته بشيء من طابعها، يسر له سبيل ما كان عليه من التفرد في الغزل، والريادة فيه، يقول العقاد في ذلك: "وربما رشحه للسبق في هذه الصناعة جانب أنثوي في طبعه يظهر للقارئ من أبياته الكثيرة، التي تنم عن ولع بكلمات النساء واستمتاع بروايتها والإبداء والإعادة فيها، مما لا يستمريه الرجل الصارم الرجولة، وأدل من ولعه بكلمات النساء على الجانب الأنثوي في طبعه أنه كان يشبههن في تدليل نفسه وإظهار التمنع لطالباته"[49].

وقد كان عمر -في طفولته- محاطا بالنساء من كل وجهة، حيث "تعاونت أمه مع جواريها اللاتي امتلأ بهن البيت لتهب طفلها ما يحتاج إليه من راحة، وحياة هادئة مستقرة منعمة مترفة، فحُمِل على كفوف الراحة واستشعر الدلال منذ صغره، وعملت الجواري على استرضائه، والتقرب إليه؛ لأن في ذلك ما يقربهن إلى أمه ويعزز مكانتهن في البيت"[50]. وفي بيته كان يلتقي عمر بصواحب أمه، أو يذهب إلى بيوتهن برفقتها، فـ"إلى جانب الجواري جماعات أخرى من النساء الفارغات اللواتي كن يحضرن إلى بيت عمر ليستمتعن بقضاء أوقات فراغهن مع أمه، فيتبادلن معها أطراف الحديث والحكايات، ومما لا شك فيه أن عمر كان يجلس في أحضان أمه حينا، وصاحباتها حينا آخر"[51].

وقد طبعت تلك التربية الأنثوية الشاعر بطابعها، من حيث الاهتمام بالزينة، والافتتان بالجمال والحسن، على ما كان في سيرته، والميل إلى مجالسة النساء والأنس بحديثهن، يقول علي عطوي: "ولعل هذا التحنان الزائد من قبل الأم، والحرص على حياته قد أثر في شخصية عمر تأثيرا كبيرا، فأصبح بحكم ملازمته لأمه يأنس بمجالسة النساء، أكثر من مجالسة الرجال، وهذا هو السر الكامن في نفسيته المخنثة"[52].

إذن فهؤلاء النسوة اللاتي يصفهن الشاعر في شعره، ولا يمكن القطع بأنهن محبوباته، هن صواحب أمه، وجليسات طفولته، من الأسر المنعمة، ومن بنات الأشراف، اللواتي كان يدخل عليهن، فيدللنه ويثنين على وسامته وحسنه. ومن الطبيعي أن تنعكس صورتهن، التي اختزنتها ذاكرته الطفولية، على نساء قصائده، فتأتي صورهن في شعره حين شبّ واكتملت شاعريته، أو لعلهن صورته الجميلة في أحاديثهن المختزنة في ذاكرته، فهو بوصفه لهن إنما يصف نفسه على ألسنتهن.

لقد اختص عمر بن أبي ربيعة في شعره طبقة النساء المترفات المنعمات، "فالمرأة في شعره هي دائما تلك الارستقراطية المترفة المنعمة، التي تبالغ في العناية بجمالها وزينتها، والتي يُسّرتْ لها أسباب الحياة، بل أسباب الترف والنعمة"[53]. وليس من طبيعة الحب أن يعترف بالطبقية، فلو أحب الشاعر جارية ما منعه مانع من أن يتغزل بها ويظهر كلفه بها وتشوقه إليها، ولعل في (بشار بن برد) وصاحبته (عبد) خير شاهد على ذلك. وهذا يعني أن عمر لم يكن يتغزل بالنساء، كما ظن الباحثون، إنما كان يصف مكنونات من طفولته المخزونة في اللاوعي، بعد أن بدأت في التشكل في ذاكرته الشعرية، "وكأنما كان عمر يستمد من واقع حياته مادة خصبة غنية، يدفها إلى مخيلته القصصية البارعة، لتخرج منها ألوانا من القصص، فيها شيء من الواقع وشيء أكثر من الخيال"[54].

وقد تنبه كثير من الباحثين إلى ما تميز به غزل عمر بن أبي ربيعة من تصوير للمرأة الحجازية، ليس على مستوى الملاحظة الخارجية لما يظهر للرجال الأجانب، أو يُعلم بالرواية والنقل، في مجتمع مسلم تلتزم فيه المرأة بضوابط الدين، بل على مستوى تصوير الشعور والهواجس، مما لابد فيه من الخبرة والمصاحبة. وقد "ساعده في ذلك اتصاله بالمجتمع النسائي في عصره، وما أتاحه له من فهم نفسية المرأة المعاصرة له فهما دقيقا، والخبرة القريبة بعواطفها وأحاسيسها، وما يدور في أعماقها من نزعات، وما يسيطر على حياتها من دوافع وأهواء، وما يجري

على لسانها من عبث ومجون". والباحثون يرجعون ذلك إلى الاختلاط في المجتمع الحجازي في العصر الأموي، ويغالون في وصف هذا الاختلاط، حتى ليظن ظان أن المرأة الحجازية الحرة، في عصر الشاعر كانت متهالكة غاية التهالك[55]، لا يضبطها دين، ولا تسترها عفّة، ولا يمنعها حياء. فكيف لو أن هذا الشعر في وصف الجواري والإماء؟ هل كان سينتهي إلى غاية إلا انتهاك المحظورات الدينية والعرفية؟.

مثل هذا الاعتقاد، مخالف ومناف لطبيعة المرأة العربية الحرة، منذ جاهليتها، فكيف وهو يصور نساء الخلفاء وعقيلات الأسر العربية العريقة، وفي زمن من أزمنة الإسلام الأولى، حتى لقد تعجب العقاد في كتابه عن عمر بن أبي ربيعة من هذا الغزل بين الرجل والمرأة، في أخبار ذلك العصر؛ لأنه بلغ من السهولة ما تستغرب أن تراه في حاضرة من حواضر العصر الحديث[56].

والحق أنه ليس لهذا الغلو، في وصف حال الاختلاط في المجتمع الحجازي، مبرر إلا الرغبة في فهم ما يدور في الشعر من أحداث، وما يذكره الشعراء من قصص، يجتهد الرواة في البحث عن مكان له في الواقع، وكأنه حقيقة محضة، لا خيالات شعراء.

وعمر حين يتحدث عن مجالس النساء بذاك القدر من المعرفة، إنما يتحدث عن النساء في ذاكرته الطفولية، إذ ليس من المستبعد، أن تختزن ذاكرة الطفل الصغير المدلل، الذي يرافق أمه إلى مجالس سيدات المجتمع، أحاديث كثيرة عن الرجال والحب وخطرات النفس والهوى، ثم تكون تلك الحكايات والأحاديث والمسامرات مادة لشعره لاحقا. "يقول مورينو: ليس بين الحقيقية والخيال صراع، فكلاهما عنصر فعّال في مجال أوسع هو عالم الأشياء والأشخاص والأحداث، ذلك العالم الدرامي النفسي"[57]. وعليه فإنه حين يقول عمر بن أبي ربيعة إن النساء قلن عنه كذا وكذا، فإن ذلك قد حصل بالفعل، لكن في طفولته، لا في شبابه، فاختزن لاوعيه ذلك، فظهر في شكل حوارات ومطارحات غرامية، بعد أن تدخلت ملكة الشاعر في صياغته وإعادة تشكيله.

وإذا كانت حوارات هؤلاء النسوة قد تسربت إلى ذاكرة الطفل الغضة فصنعت كل تلك الحكايات، فإن ثناءهن على وسامته وحسنه قد علقت أيضا في ذاكرته وأثرت على نفسيته؛ فخلقت عنده تلك النرجسية العالية التي يتردد صداها في شعره، وهي نرجسية تتعلق بالجمال والحسن أيضا. والحسن من أوصاف النساء، مثلما النرجسية، التي كانت في أول ظهورها الاصطلاحي تدل على المرأة دون الرجل، "ورد في كتابات هاينز كوهت (Kohut1981-1913) عن النرجسية وسيكولوجية الذات psychology Self ذكر وصف المرأة في مرحلة الشعور بتعاظم الذات"[58].

و"نَرْجِسية Narcissism الاشتقاق هنا من الأسطورة الإغريقية حول نرجس Narcissus الشاب الذي وقع في غرام صورته التي رآها منعكسة من سطح المياه، واستخدم فرويد تعبير النرجسية Narcissism لمفهوم الحب المرضي للذات، واضطراب الشخصية النرجسية يعني الأنانية"[59]. فالنرجسية –بحسب فرويد- حب مرضي للذات، يؤدي إلى بها إلى الأنانية، التي تظهر في شعر عمر بن أبي ربيعة في صورة قصص فضائحي لسيدات المجتمع، وإن كان مِن الباحثين مَن ذهب إلى أن هذا السلوك كان مشفوعا بدوافع سياسية، وأن "الغزل عنده كان نوعا من التعويض، وأنه كان صورة أخرى للسياسة التي أهملته، وأنه حين فاته أن يكون عبد الملك في الشام، فلم يفتْه أن تكون له على هؤلاء النسوة تلك السيطرة التي يحلم بها"[60]. وذهب آخر إلى أبعد من ذلك، فظن أن مفاخرة عمر بمغامراته النسائية وحديثه عنها بعد انتهائها مباشرة، يدل على أنه "حقق مراده بالانتقام من خصومه السياسيين باختراق بيوتهم، ووصوله إلى نسائهم في عقر دارهم، وهم غافلون، وبيان ما كانت عليه هذه النسوة من رغبة فيه، ورضاهن عن كل ما يأتيه من أجل مزيد من تبكيت الخصم وإحراجه"[61].

والأمر على خلاف ذلك، فقد تعاظمت نفسه بفعل إطراء النساء عليه في طفولته، فصارت تلك الصورة من مخزونات ذاكرته تتراءى له كلما نظر إلى وجهه في المرآة، فرأى ذاك الفتى الجميل

الذي تثني النساء على حسنه وجماله، فتتعاظم صورته في نفسه، فتظهر نرجسيته، "ومن هنا كان يمكن الزعم أن عمر بن أبي ربيعة كان من هؤلاء الشعراء المصابين بتلك العقدة النفسية التي طبعت شعره بشكل ذاتي، فكان غزله يدور في الغالب على نفسه"[62].

وهنا –أيضا- كان عمر يبتار في شعره فيقول إنه قد قيل له كذا وكذا، وما ذاك إلا مخزون ذاكرة الطفل لما بدا على السطح في شبابه، فكان صورة لما كان يرى عليه نفسه من الجمال والحسن في ثناء النساء عليه، في هذا الجانب بالذات، حين كان طفلا.

هكذا "فتن عمر بنفسه، وقضى حياته مشغولا بصورته الجميلة التي كانت تعكسها عيون صاحباته المشغوفات به، كما عكستها من قبلهن عينا أمه التي قضت حياتها مشغولة به وبجماله"[63].

**مظاهر الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة:**

بعد أن خلصت الدراسة إلى أن عمر يبتار في شعره، فيقول فعلت أو قيل لي، وقد حصل ذلك بالفعل، بقي سؤال عن مظاهر الابتيار في شعره. وهنا ستحرص الدراسة على البحث عن الجديد، وألا تتقاطع مع سابقاتها، إلا فيما يضيء هذا الذي خرجت به. وهنا يمكن الوقوف عند مظهرين من مظاهر الابتيار في مضامين شعره، هما:

**1- الابتيار في المضامين**

لعل مما لا يخفى على أي متتبع لحياة عمر بن أبي ربيعة كثرة القصص التي ترافق نصوصه وتلازمها ملازمة السبب للنتيجة، حتى جاء معظم شعره مسبوقا بأخبار تؤكد مناسبة القول وتشهد له بالصدق، "ولعل هذا ما جعل القصص يكثر حول عمر، فمخيّلة القصاص لعبت -منذ حياة عمر نفسه- بأخباره؛ ومن هنا كثر القصص عن عمر واختلطت صورته على الرواة القدماء أنفسهم كما اختلطت على الباحثين المحدثين"[64]. ولعل أكبر دليل على الوضع في مضامين هذا القصص ما يلاحظ عليه من الاشتراك في عدد من المقومات، منها، فيما يخص الابتيار تحديدا:

**أ- جمال النساء اللائي يتغزل الشاعر بهن**

وقد لفت هذا المنحى نظر الباحثين، فذهب أحدهم إلى "أن أكثر النساء اللواتي وصفهن لا يختلفن الواحدة عن الأخرى، فهنّ متشابهات في أوصافهن يصلحن جميعا أن يكن مثال الجمال المرغوب عند العرب"[(65)].

والمتتبع لأخبار عمر وصواحبه في الأغاني يثيره هذا الإصرار عند رواة الأخبار على جمال أولئك النسوة، وكأن عين الشاعر لا تقع إلا على الجميلات الحسان، تستوي في ذلك المجهولات من النساء، في مثل: "قدمت امرأةٌ مكة وكانت من أجمل النساء، فبينا عمر بن أبي ربيعة يطوف إذ نظر إليها فوقعت في قلبه"[(66)]. ومثل: "بينما عمر بن أبي ربيعة يطوف بالبيت إذ رأى امرأة من أهل العراق فأعجبه جمالها"[(67)]، ومثل: "يا أبا الخطاب، مرّت بي أربع نسوة قُبيل العشاء يُردن موضع كذا وكذا، لم أر مثْلهنّ في بدو ولا حضر"[(68)]، والمعروفات أيضا، ومنه، في خبر غزله بزينب الجمحية: "أن ابن أبي عتيق وصفها عنده يوما فأطْراها، ووصف عقلها وأدبها وجمالها"[(69)]، ومنه: "حج أبو الأسود الدُّؤلي ومعه امرأته وكانت جميلة، فبينا هي تطوف بالبيت إذ عرض لها عمر بن أبي ربيعة"[(70)]، ومنه عن إسماعيل بن أمية في بغوم المغنية -بعد أن أسنّت- قوله لمسعر بنِ كِدام: "هذه (بغوم) عمر بن أبي ربيعة...، انظر كيف صارت، وما كان بمكة أجمل منها"[(71)]. وغير ذلك كثير في أخباره المبثوثة في الأغاني، وكأنما "أدرك القدماء حب عمر للجميلات، فكانوا إذا ذكروا نسيبه وأخباره، مع النساء اللواتي تغزل بهن، ذكروا قبل كل شيء عن المرأة أنها جميلة، رآها عمر فراقه جمالها فتبعها وتغزل بها"[(72)].

ولا شك أن هذا الإصرار يلفت الانتباه ويثير الذهن، فعمر عاشق للجمال، لا تفوته جميلة ولو كانت زوج رجل نسيب حسيب، وهذا ما لا يمكن تصوره في مجتمع عربي قديم أو حديث، إلا إن كان مما يتزيد فيه الإخباريون لإزجاء بضاعتهم، وتحقيق مقومات التشويق والإثارة فيها، "ومن يقف على مدى ما صنعه الرواة في أخبار عمر من تلفيق لأسماء فتيات ونساء تغزل فيهن يعرف إلى أي حد تصاب الرواية الأدبية في كتاب الأغاني بالاضطراب"[(73)].

هذا الجمال الذي يصفه الرواة، ويصوره الشاعر في شعره، هو –في الواقع- صورة لما حفظته ذاكرته من كلمات الإطراء على الطفل الجميل المدلل؛ تحولت بمرور الزمن إلى تغزل بالذات وإعجاب بها، فعمر "لم يختلف عن غيره من شعراء الغزل إلا بتصريحه بهذا الحب لنفسه، وإعجابه بها"[74].

وهذا في الواقع أثر من آثار شخصيته النرجسية المتعالية، التي تضع مقاييسها الخاصة للأشياء والأشخاص ولا تقبل التنازل عنها. هكذا يبدع عمر بن أبي ربيعة في صناعة صورة الآخر في شعره، "فهو ينتقي الآخر كما يحب ويشتهي، فالمرأة لوحة يرسمها بعد أن يختارها وفقا لحالته النفسية"[75]؛ لتغدو صورة موافقة للمقاييس المثالية للجمال الذي يرتضيه في نفسه وفي الأشياء والأحياء من حوله.

إن هذا الإصرار على جمال النساء، يجعل من شعر عمر لوحة جميلة للمرأة العربية، من رأسها إلى أخمص قدميها. وعمر في هذا كله يبتار أيضا، لأنه يصف انعكاس جماله وأنوثته على هؤلاء النسوة اللاتي يمتزن بالجمال دائما، ومنه في جمال الثغر، قوله [بحر المتقارب]:

وإذْ هِـي تَضْحَـكُ عـن نَيّـرٍ  لذِيْـذِ المُقَبَّـلِ عَـذْبٍ خَصِـرْ
شَـتِيْتِ المَراكِـز، أَحْـوَى اللّثَـاتِ  كَـدُرّ تَنَضّـدَ فِيْـه أُشُـرْ[76]

وفي جمال القدّ واستواء الخلقة واكتناز الأرداف، وجمال الجيد والعين، وفي التنعم والرغد [بحر الطويل]:

مُتَبَّلَـةٌ صَفْـرَاءُ مَهْضُومَـةُ الحَـشا  غَـذَاهـا سُـرُورٌ دَائِـمٌ وَنَعِيـمُ
قَدِ اعْتَدَلَتْ فَالنِّصْفُ مِنْ غُضْنِ بَانَةٍ  وَنِصْـفٌ كَثِيْـبٌ لَبَّدَتْـهُ سَجُـومُ
مُنَعّمَـةٌ أهْـدَى لَهَـا الجِيْـدَ شَـادِنٌ  وأَهْدَى لَهَا العَيْنَ القَتُولَ بَغُومُ[77]

وغير ذلك كثير لا يمكن حصره، وكأنما قسّم عمر صورة جماله المثالية في جسوم كثيرة، فغدا علما على الجمال والتغزل بالذات، وهذا ما منح شعره تلك الخصوصية التي امتاز بها عمن سبقه ومن أتى بعده من الشعراء. فالمرأة التي يصفها عمر بن أبي ربيعة في شعره ليست المرأة الواقعية، إنما هي أنموذج فريد من صنعه، وضع فيه كل المحاسن التي وصفها شعره ووقف عندها دارسوه بالشرح، معتقدين أنه يقصدها على سبيل التحقيق، فتحدثوا عن جمالها الباذخ الذي لا يمكن أن يكون لامرأة من لحم ودمّ[78]. وذهب بعضهم إلى إحصاء أسماء النساء في شعره، فإذا (هند) أكثرهن حضورا من الأخريات، في إصرار على الاعتقاد بالصدق التاريخي لما قاله الشاعر عن هؤلاء النسوة[79]. والحق أن من يسمع إطراء عمر لنفسه في الأغاني[80]، لا يشك في أن تلك المرأة الحسناء التي وصفها هي ذاته هو. وهذا –أيضا- ضرب من الابتيار، لكنه ابتيار نفسي بالدرجة الأولى.

**ب- نوال الشاعر من النساء في كل حادثة**

لا يمكن أن يتصور الطفل المدلل أن يطلب شيئا ولا يحصل عليه، فالطفل المدلل أو الوحيد الذي يلقى من العناية أكثر مما يجب، يكون مستغرقا في اهتماماته وأموره الخاصة، بما يجعله عاجزا عن الاهتمام بمشاعر الآخرين وشؤونهم، عاجزا عن تقدير الأمور والأشياء من وجهة نظر الغير، بل من وجهة نظره وحده. وتنشأ هذه الظاهرة من اعتقاده أنه مركز الكون والعالم بأسره، وأن كل شيء خلق من أجله[81]. وهذا هو ما حصل مع عمر بن أبي ربيعة في طفولته، وتجسد في غزله لاحقا، فالنساء وإن تمنَّعنَّ فإنهن ينتهين إلى ابتذال أنفسهن وإجابته لما يطلب؛ لأن أحدا لا يمكن أن يقول له: (لا). وذلك أثر من آثار تربيته وتنشئته، فعمر بن أبي ربيعة "ليس من السهل أن يوجد مرارا، إذ لا بد للشاعر من ظروف كثيرة تحوله من عالم العاشقين إلى عالم المعشوقين، ولابد أن يكون له ثراء عمر، وأن تكون له أمه التي عاشت له، وعاشت تعشقه"[82]، وتلبي كل ما يطلب.

تلك التربية القائمة على الدلال جعلت من عمر نرجسيا، متضخم الأنا، "وحسب "نيميا" يتصف الأفراد النرجسيون بأن لديهم طموحات وأهدافا غير واقعية، ولا يتحملون مواقف الفشل ولا يتقبلون عيوب ذواتهم، ولديهم رغبة حادة لا تشبع في أن يكونوا موضعا للإعجاب"[83]. وهو ما يظهر في أخبار عمر بن أبي ربيعة، وفي قصائده، فهو مرغوب دائما، تسعى إليه الفاتنات، فتعاون إحداهن الأخرى على تحقيق مآربه وتلبية مطالبه.

وتشيع في شعره لذاك حوارات فيها البطلة ومعاوناتها، قلما يخلو منها نص من نصوص الديوان، يقول [بحر الطويل]:

فَقَالَـتْ لأُخْتِهَـا: أعِيْنَـا علـى فَـتَىً ... أَتَـى زَائِـرًا، والأَمْـرُ للأَمْـرِ يُقْـدَرُ

فَأَقْبَلَـتا، فارْتاعَتـَا، ثُـمّ قَالَـتَا: ... أَقِلّي عَلَيْكِ اللَّوْمَ فالخَطْبُ أيْسَرُ[84]

ويقول [بحر الطويل]:

وَقَالَـتْ لأَتْـرابٍ لَهَـا: ابْـرُزْنَ، إنّني ... أظُـنُّ أبَـا الخَطّـابِ منّـا بِمَحْضَـرِ

قَرِيْبـا عَلَى سَـمْتٍ مِـنَ القَـوْمِ تُتّقى ... عُيُونُهُـمُ مِـنْ طَائِفِيـنَ وَسُمّـر[85]

ويقول [بحر الطويل]:

وقَالَـتْ لأَتْـرابٍ لَهَـا تُشْـبِهُ الـدُّمَى: ... تَنَكَّبْـنَ شَـيْئا والدُّمُـوعُ سُـجُوْمُ

وقَلَـتْ لَهُـنّ: ارْبَعْـنَ شِـيئًا لَعَـلّني ... وإنْ لَامَنِي فِيْمـا ارْتَأَيْـتُ مُلِيـمُ[86]

وعمر في حواراته ينجح في تصوير مشاعر المرأة، "إذ كشف عن خفايا نفسها، وما يعتلج في صدرها نحو الرجل، فهو لم يكن معنيا بتصوير عواطفه، ولواعج حبه قدر عنايته بتصوير جوى المرأة، وفرط افتتانها به"[87].

وعمر بن أبي ربيعة في غزله، يُصور امرأة مستجيبة مجيبة دائما، وهذا ما تسنده الأخبار والمرويات أيضا، فكلثم بنت سعد المخزومية، تضرب رسول عمر إليها، وترده عدة مرات، وتمتنع عن قبول رسائله، ثم تستسلم لسحره وتجيبه، يقول واصفا كتابها إليه [بحر الكامل]:

وَلَقَـدْ قَرَأْتُ كِتَابها فَفهمتُه لَوْ كَانَ غَيْرُ كِتَابِها لَمْ أفْهَمِ

عَجَمَتْ عَلَيْه بِكَفِهَا وَبَنَانِهَا مِنْ مَاءِ مُقْلَتِهَا بِغَيْرِ المُعْجَمِ[88]

وكلثم في الخبر، تنتهي -بعد مماطلة- إلى استقبال عمر والتزين له، وحبسه في بيتها شهرا، لا يدري أهله أين هو[89]. أما الثريا بنت علي بن أمية الأصغر فتدخل إلى فراشه لميعاد كان بينهما، فتجد أخاه الحارث مستلقيا في فراشه، وقد خرج هو إلى المسجد مع المغرب، فتلقي بنفسها عليه تقبّله، لا تشكّ في أنه عمر[90]. ومع أن الثريا تتزوج من رجل آخر في نهاية القصة، إلا أن عمر يستمر في مراسلتها، وتجيبه، تقول مجيبة وواصفة رسالة وصلتها منه [بحر الطويل]:

أَتـاني كِتَـابٌ لَـمْ يَـرَ النّـاسُ مِثْلَـهُ أُمِـدَّ بِـكَافُـورٍ ومِسْـكٍ وَعنـبَرِ

وَقِـرْطَاسُـهُ قُوْهِـيَّـةٌ وَرِبَـاطُـه بِعقْدٍ مِنَ اليَاقُوتِ صَافٍ وَجَوْهَرِ[91]

وغير ذلك من الأخبار التي لا يتدخل في تجريم محتواها وتحريمه عرف ولا دين ولا دولة، وكأنها حق مشروع للشاعر وصواحبه دون غيرهم.

وعمر في شعره ينال –أيضا- ويحقق ما يصبو إليه من صواحبه، يقول [بحر الكامل]:

حَتَى إذَا أُمِـنَ الرّقِيْـبُ وَنُوّمَـتْ عنّـا عُيُـونُ سَوَاهِـرِ الأعْـداءِ

خَرَجـتْ تـأطَرُ في ثَـلاثٍ كَـالدُّمى تمْشـي كَمَشْـي الظّبْـيةِ الأَدْمَـاء

جـاءَ البَشِيـرُ بأنّهـا قَـدْ أقْبَلَـتْ ريـحٌ لَهـا أَرَجٌ بِكُـلِ فَـضَـاءِ

قَالَـتْ: لِرَبّي الشّكْـرُ، هَـذِي لَيْلَـةٌ نَـذْرًا أُؤَدِّيـهِ لـهُ بِوَفَـاء[92]

ويقول [بحر الطويل]:

ونَاهِـدةِ الثّـدْيِيـنِ قُلْـتُ لَهَا:اتّـكِي عَلَـى الرّمْـلِ مِـنْ جَبَّانَـةٍ لَـمْ تَوَسَـدِ

فَقَالـتْ: عَلى اسْمِ اللهِ، أمْرُكَ طَاعَةٌ وإنْ كُنْـتُ قـدْ كُلّفْـتُ مَـا لَـمْ أُعـوَّدِ

فَمَـا زِلْـتُ فِـي لَيـْلٍ طَويـلٍ مُـلَـثّمًا لَذِيْـذَ رُضَـابِ المِسْـكِ كَالمُـتَشَهِدِ

فلمّـا دَنـا الإصْـبَاحُ قَالـتْ فضحتـني فَقُمْ غيرَ مَطْرُودٍ، وإنْ شِئْتَ فَازدَدِ[93]

والحوارات بين الشاعر وصاحبتيه في النصين تصور الشاعر مرغوبا مطلوبا، فالمرأة في الأبيات الأولى تشكر ربها أن حقق أمنيتها بلقائه، وتقسم أن تفي بنذر النوال الذي كانت قد عقدته إن أجابها إلى مرادها منه. وفي الثانية تستجيب لأمره طائعة، وتذكر اسم الله على ما متعها به من نوال الأمنية وتحقق الحلم.

وعمر في شعره يتحدث عن وقوعه في المحظورات، معلنًا غير كاتم، ومع ذلك لم تقف ضده كل مؤسسات المجتمع الشعبية والرسمية، فلم يُقَم عليه حدّ القذف في الأعراض، ولم يُجلد ويوقف على البُلُس، مثلما حصل لمعاصره الأحوص[94]، وكأنما صدق فيه وحده حكم القاضي الجرجاني للشعراء، حين أعلن أن "الدين بمعزل عن الشعر"[95]. وهذا في حد ذاته مثير للتساؤل.

ويمكن أن نرد هذا الموقف المتهاون من السلطة تجاه الشاعر إلى ما أدركه القدماء من حب عمر بن أبي ربيعة لنفسه، فصار حديثه عن عشق النساء له حديثا عن حبّه لنفسه، لا حكاية لواقع تاريخي محدد، فالشاعر حين ينظم في حدث، لا يصور حقيقة الفعل بل تصوره له، مما يحقق ضربا من اللذة الفكرية التخييلية، تغني عن اللذة الجسدية الحقيقة. وهذا ما يظهر في كثير من الصور الشعرية في شعر عمر، إذ "يعتمد على المخزون اللاشعوري، وفي هذه الحالة يكون من الخطأ التعامل مع الصورة على أساس دلالتها الظاهرة المباشرة"[96].

وعمر بن أبي ربيعة يصرّح في غير موضع من أخبار الأغاني بأنه ما وقع في حرام ولا ارتكب محظورا، وأنه على سنة الشعراء الذين يقولون ما لا يفعلون[97]. وقد حفّزت هذا النوع من الغزل نرجسية عمر ورغبته في المخالفة التي تجعله مختلفا عن غيره من الشعراء، مشارا إليه بالبنان دائما. "وقد شكل الوعي و(اللاوعي) عند الشاعر مادة غنية لنقل تلك الأحداث وتوظيفها في

نصوصه الأدبية، فالعواطف المخزونة في (لاوعي) الشاعر يمكن أن ينقلها إلى الوعي بكيفيات كثيرة"[98]، هي ما ولّد هذا القصص وتلك الحوارات التي ظهرت في شعره.

هنا تأتي نرجسية عمر لتصنع هذا النوع من الابتيار الذي يقول فيه إنه قد فعل، وإنما فعله شعريّ لا واقعي؛ لأنه ببساطة يبحث عن التميز بالمباينة والمفارقة والمخالفة، فلن يكون عمر الذي يتحدث الناس عنه وعن شعره ومغامراته لو لم يكن قال ما قاله.

**2- الابتيار في الشكل**

شكلت مضامين غزل عمر بن أبي ربيعة– على ما اتضح سابقا- أنموذجا جديدا يختلف عن الغزل في عصره وفي العصور السابقة له. وإذا كان من الباحثين من عدّ عمر بن أبي ربيعة، في حواراته الغرامية وقصصه الشعري، وريثا لمدرسة امرئ القيس، وأنه "قد تقدم بسبب من رقيه الزمني، وتوفر أسباب الحضارة له حتى سبق أستاذه وتفوق عليه" [99]، فإن عمر قد تجاوز أستاذه الجاهلي كثيرا، فأتى بما لم يأت به الأوائل، ساعده على ذلك اعتماد أساليب جديدة في الوصف والحوار لم تعهد عند سابقيه. ومع أن شعر عمر بن أبي ربيعة لا يتميز بمعجم خاص متفرد، إلا أنه تفرد بلغة خاصة في الغزل؛ لغة يغذيها الابتيار النفسي، الذي عرف به الشاعر، فإذا هي مزيج من مخزونات الطفولة ومكتسبات التربية. ويمكن الوقوف عند مظهرين من مظاهر الابتيار النفسي في لغة عمر بن أبي ربيعة، هما:

**أ- اختيار لغة الأنوثة بدلا من لغة الفحول**

يقول العقاد معلقا على قول عمر بن أبي ربيعة: "كنت وأنا شاب أُعشق ولا أَعشق"[100]: "وهذا حديث من هو عاشق لنفسه قبل أن يكون معشوقا لغيره، ففيه خليقة المرأة أن تشعر بجنسها مطلوبة ولا تشعر بجنسها طالبة، وما من شاب يبلغ من العمر أن تعشقه المرأة إلا قد بلغ من العمر أن يعشقها، ما لم يمنعه مانع من عرف أو زهادة، فإن لم يكن هذا المانع ففي انتظاره أن يُطلب معشوقا قبل أن يطلب عاشقا أنوثة لا ترضاها طبائع الفحول"[101].

وعمر فيما يبدو ليس من أولئك الفحول الأقوياء، فقد نشأ في كنف أمّه مدللا منعما، بعيدا عن قسوة الأب التربوية، وعليه فليس يستغرب أن يصير على هذه الصورة الأنثوية الرقيقة. ففي في حواراته –مثلا- يتلذذ عمر بذكر اسمه وتكراره على لسان صواحبه، يقول العقاد في هذا الملمح: "ولعل جانب الأنوثة فيه لا يظهر من شيء كما يظهر من تدليل اسمه بين تلقيب وكناية وتسمية، كما يُعهد في أحاديث النساء، فهو تارة أبو الخطاب، وتارة المغيري، وتارة عمر الذي لا يخفى كما لا يخفى القمر، وأشباه ذلك من الأنثويات التي يقارب بها المرأة في المزاج ويسايرها في الحديث"[102].

والواقع أن الأنوثة هنا تظهر في تلذذ العاشق بذكر اسم محبوبته، على عادة الشعراء، لكن المحبوبة هنا مختلفة، إذ هي (أناه) التي عشقها كما لم يعشق امرأة قط. هذه الأنا المتضخمة هي التي يتكرر ذكرها وتحضر في كل مكان، وكأنما تمثل للعاشق في كل سبيل. يقول [بحر البسيط]:

وَقَوْلِهَا وَدُمُوْعُ العَيْنِ تَسْبِقُها  فِي نَحْرِهَا: دَيْنُ هَذا القلبِ مِنْ عُمَرِ[103]

ويقول [بحر الطويل]:

قِفِي فَانْظُرِي أَسْمَاءُ هَلْ تَعْرِفِنَه  أَهَذا المُغِيْرِي الّذي كَانَ يُذْكَـرُ[104]

ويقول [بحر البسيط]:

وَقَالَتْ لأُخْتِها: اذْهَبا في حَفِظَةٍ  فَزُورَا أَبَا الخَطَابِ سِرًّا وَسَلّما[105]

وقد أسعفه في خلق تلك اللغة المؤنثة دخوله مجالس النساء في طفولته الأولى، ودلالهن وممازحتهن له، فصار يتحدث بلسان طفولته عن شبابه؛ فإذا هو الأعطر والأشهر، لا الأشد ولا الأقوى، يقول واصفا نفسه على لسان صواحبه [بحر الكامل]:

قَالتْ: أَبُو الخَطّابِ أَعْرِفُ زَيّه  ورَكُوبَهُ لا شَكّ غَيْرَ مِرَاء[106]

ويقول [بحر الرمل]:

وَرُضَابُ المِسْكِ في أَثْوَابِه  مَرْمَرَ الماءَ عليْه فَنَضَر[107]

فعمر لا يعنيه أن يشتهر بقوة أو حمل سلاح، مثلما هي حال الكثيرين من شباب بني أمية في زمانه، وحال شباب العرب في عصورهم المختلفة؛ لأن نفسه لا تنطوي على مطامع سياسية، ولم يجد من الشظف ما يكلفه العناء والمشقة؛ لذا تجده يقنع من الشهرة بأن يشتهر بالجمال والوسامة والتأنق، وإن تجاوز ذلك فليشتهر بالمغامرة، لكن مغامراته لا تكون إلا في عالم النساء، "وكلها، عند هذا الفتى القرشي، في حياته الهازلة، ذات معنى سلبي يقابل معاني الحياة الجادة عند أولئك الذين كانوا يبنون الحياة ويصوغون المجتمع"[108]. ولعل قصيدته الرائية وحدها تكفي للكشف عن هذا الجانب، فعمر فيها يصور اقتحامه لليل وتجشمه مشقة مواجهة الحي والحراس. وعمر في مغامراته يحقق النصر دائما، فهو في الرائية -مثلا- ينتهي إلى سرير (نعم) ويقضي منها ما جاء طالبا له. تلك المغامرة -في الواقع- لا قيمة لها حين تقاس بمقاييس المغامرات البطولية التي ينجو الشاعر فيها بنفسه من الأعداء المترصدين. يقول واصفا تلك المغامرة [بحر الطويل]:

ولَيْلـةَ ذِي دَوْرَانَ جَشّـمني السُّـرَى  وقـدْ يجشَـمُ الهَـوْلَ المُحـبُّ المُغَـرَّرُ
فَبِـتُّ رَقِيْـبًا للرِّفَـاقِ عَـلى شَـفَـا  أُحـاذِرُ منْـهُم مَـنْ يَطُـوفُ وَأَنْظُـرُ
.....
فَلمّا فَقَدْتُ الصّوتَ منْهُم وأُطْفِئتْ  مَصَابيـحُ شُـبّتْ بالعِشَـاءِ وأَنْـوُرُ
غَـابَ قُميـرٌ كُنـتُ أرجُـو غيَـابَهُ  وَرَوّحَ رُعْـيَـانٌ وَنَـوّمَ سُمّـرُ
.....
فَحَيّـتْ إذا فَاجَأتُهـا، وتَوَلّهـتْ  وكَادتْ بِمَخْفُوضِ التّحيةِ تَجْهَرُ[109]

ومن أنثويات عمر التي لم يسبق إليها أنه جعل المرأة -البطلة في مغامراته الغرامية- عاشقة له، "إذ قلما يشكو من هجر أو يتألم لصَدّ، فقد تحول بشعره يملأه تيها بنفسه، ويقال إنه كان

جميلا، وكأنما انعكست فيه صورة الحب، فهو لا يشكو الغرام والعشق، بل محبوبته هي التي تشكو من ذلك"[110]. فنساء عمر هنّ اللواتي يتمنين لقاء المغيري المُشهر، ويتحيّن له الفرص، ثم هنّ–بعد ذلك- يتألمن ويبكين فراقه وهجره، في صورة هي عكس الصورة النمطية للغزل، حيث يسعى الرجل في طلب المرأة ويبكي فراقها. يقول واصفا جواب امرأة، كان قد وعدها بزيارة أرضها [بحر الرمل]:

فأَجَابَتْ: هَـذِهِ أُمْنِيَـةٌ  لَيْتَ أنَّا نَشْتَرِيهَا بِثَمَنْ[111]

ويقول في تشوق أخرى للقائه، بعد عقده العزم على هجرها [بحر الخفيف]:

كَيْفَ لِي اليَوْمَ أنْ أَرَى عُمَرَ المُر  سِلَ بالهَجْرِ قَبْلَ أنْ يَلْقَاني؟[112]

ويقول واصفا بكاء ثالثة لفقده، وطول تشوقها له [بحر المتقارب]:

وكَفّتْ سَوابِقَ مِنْ عَبْرةٍ  عَلَى الخَدِّ جَالَ بِهَا الإِثْمِدُ[113]

ويقول على لسان رابعة، كان قد فارقها على وعد باللقاء [بحر الكامل]:

اذْهَبْ فَدَيْتُكَ غَيْرَ مُبْتَعِدٍ  لاَ كَانَ هَذا آخرَ العَهْدِ[114]

والشواهد سوى ذلك كثيرة، وهي تؤكد في مجملها، أن عمر لم يكن معنيّا بالحفاظ على صورة الرجل الذي ترتضيه الثقافة العربية، الرجل الأنموذج، الذي لا يتجمل ولا يحفل بالزينة، ولا يدلل نفسه ويملّح اسمه كالنساء، والذي يبكي ويتألم دائما؛ لأنه يعاني من أجل المرأة، حاميا ومدافعا عنها مرة، ومتوجّدا متوجعا من عشقه لها مرات ومرات. بل لعل الصورة التي تعني عمر، هي تلك التي حاولت الثقافة طمسها وتعمية العين عنها، صورة الرجل الجميل الوسيم الأنيق. ولأنه لا يستطيع أن يعترض بشكل مباشر سافر على تلك المواضعات الثقافية، فقد ترك الاعتراض عليها لفنّه وشعره، فجاء بتلك الأساليب الأنثوية، ليؤكد احتفاء الشاعر بهذا الجانب من جوانب شخصيته.

هكذا يبتكر عمر في غزله لغة خاصة لأداء المضامين الخاصة التي ابتدعها ابتداعا. وهو في ذلك يخالف عرف الغزليين من الشعراء الذي جعلوا من فروسيتهم وقوتهم وجسارتهم على الأعداء سبيلا لكسب محبة النساء.

**ب- التحول من ضمير المفرد إلى ضمير الجمع**

لقد درج شعراء الغزل في كافة عصورهم على استخدام ضمير المفرد في أثناء حديثهم عن المرأة، لكن عمر يخالف في هذا العرف، على عادته في مخالفة السائد والقار، فيتحدث عن النساء بلغة الجمع، على ما مرّ سابقا، يقول عن أحاديث النساء الجماعية في الحب [بحر الخفيف]:

ثم قالت لسربها سائليه  أيريد الرواح أم هو غادي؟[115]

ويقول واصفا جمعا من الجميلات [بحر المتقارب]:

فَحُورٍ كَمِثْلِ ظِبَاءِ الخَرِيْـ  فِ أخرجْنَ يَمْشِينَ مشْيًا قَطُوفا[116]

وليس ذلك كل شيء، بل إنه ليتحول من ضمير المفرد إلى ضمير الجماعة كثيرا، إذ "قلما تعرف له قصيدة لا يضطر فيها إلى تحويل الضمير إلى الجمع"[117]، ومن ذلك قوله [بحر الخفيف]:

سَكَنَتْ مُشرفَ الذَّرَى، ثُمّ قَالَتْ:  لا تَزُرْنا ولا نَزُورك سَبْتا[118]

وقوله [بحر البسيط]:

قَالَتْ:بِدَائِكَ مُتْ، أوعَشْ تُعالِجُهُ  فَمَا نَرَى لَكَ فِيْمَا عِنْدَنَا فَرَجَا[119]

وقوله [بحر الكامل]:

يَا سُكْنُ حُبُّك إذْ كَلِفْتُ بِحُبّكُم  عَرَضا أَرَاهُ وَرَبِّ مَكّةَ مُمْرِضي[120]

وقوله [بحر المنسرح]:

تَقولُ: إنْ لَمْ نَزُرْكَ مِنْ حذرِ الـ  كَـــاشِـــح، والحَاسِدِيْنَ لمْ تَزُرِ[121]

وقوله [بحر الطويل]:

وفِي جَوْفِهِ مِنّي إليْكَ تَحِيةٌ فَقَدْ طَالَ تِهْيامِي بِكُم وَتَذَكُّري[122]

تلك الحوارات، التي لا نكاد نجد لها مثيلا في ثقافة العرب الغزلية، تدلّ على ما سبق أن خلصت إليه الدراسة من أن ذاكرة الشاعر الطفولية كانت قد حفظت تلك الأحاديث الجماعية للنساء في مجالس طفولته ثم عادت لتبتكر منها حوارات غزلية جماعية، لم تكن مما اعتاده الشعراء، إذ ليس من عادتهم الحديث عن معشوقاتهم بضمير الجمع.

هكذا كانت لغة عمر بن أبي ربيعة؛ لغة فيها ضرب من الابتيار النفسي، يكشف رواسب شخصيته التي خلقتها تربيته، ورفدتها بلاغته وموهبته، فصار يستعير لسان النساء ليصف نفسه، وليصنع نساء قصائده؛ متمثلا في ذلك واقعا كان قد حصل بالفعل، في نفسه ووجدانه، لا في زمانه ومكانه.

**الخاتمة:**

اشتغلت هذه الدراسة على ظاهرة الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة، متتبعة هذا المصطلح في القواميس والمعاجم اللغوية. ثم بحثت عن أسباب الابتيار وبواعثه من حياة الشعر ومن مواضعات الثقافة، منتهية إلى الكشف عن بعض مظاهره في شعر عمر بن أبي ربيعة، على مستوى المضمون والشكل، وخلصت إلى عدد من النتائج، منها:

1. أن الابتيار مصطلح يدل على ما يفعله الشخص ثم يصرح به مفاخرا، على ما هو ظاهر في كثير من نصوص الشاعر والأخبار التي ترافق تلك النصوص، صحيحة كانت أو متخيلة.
2. أن الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة كان وسيلة لمخالفة السائد والقار في الثقافة العربية عامة، وفي الثقافة الشعرية خاصة. وقد لجأ إليه الشاعر رغبة في المباينة والاختلاف.

3. أن الابتيار في شعر عمر بن أبي ربيعة نفسي وليس واقعيا، نتج عما أحسه في نفسه من التميز على المستويين الشخصي والاجتماعي.
4. أن تنشئة الشاعر لعبت دورا كبيرا في تعاظم إحساسه بتميزه، مما أدى إلى تميز أشعاره وأخباره بهذا الابتيار الذي عرفت به.
5. أن الحديث عن جماعات النساء في شعر عمر بن أبي ربيعة إنما كان انعكاسا لما كان يحصل في مجالس طفولته، ما أدى إلى هذا الحديث الجماعي، الذي انعكس بدوره على الضمائر في شعره.
6. أن عمر بن أبي ربيعة يبتار في شعره، بحسب وصف الأصفهاني، لكن بكيفيات أخرى صوّرها خياله الشعري، ولا علاقة لواقعه الحقيقي في شبابه، بكثير مما جاء في شعره.

أخيرا، فإن الدراسة وهي تنتهي إلى تلك النتائج، التي لا تجزم بصحتها، فإنها تفتح الباب أمام قراءة جديدة للأدب العربي القديم، تتجنب السائد والمكرور في الدراسات السابقة، وتبحث عما لم يحظ بالبحث، في سبيل الكشف عن غنى الشعر العربي بالدلالات، مع الإفادة مما طرحته العلوم الإنسانية الأخرى، من النظريات، لا سيما علم النفس.

**الهوامش والإحالات:**

(1) ينظر: يوسف خليف، في الشعر الأموي - دراسة في البيئات، مكتبة غريب، القاهرة، د. ط، د.ت: 160.
(2) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار صادر، بيروت: د. ط، د.ت: 94/1.
(3) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت، مادة: ب هـ ر.
(4) أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د. ط، 1979: 308/1.
(5) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، د.ط، 1972: 253/10.

(6) المرجع السابق: 257/10.

(7) المرجع السابق: 256/10.

(8) المرجع السابق: 10/ 258.

(9) المرجع السابق: 10/ 261-262.

(10) المرجع السابق: 162/10.

(11) المرجع السابق: 268/10.

(12) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تصحيح: الشيخ محمد التركزي الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1978: 378/1.

(13) المرجع السابق: 377/1.

(14) ابن فارس، مقاييس اللغة: 316/1.

(15) ينظر: أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، القاهرة، ط1، 1989م: 88/2-89. فقد ذكر مقولات النقاد القدماء في الصدق والكذب، ولم يرد (الابتيار، والابتهار) وصفا للشعر عند أحدهم. وينظر -أيضا- كتاب أول المشتغلين بالقضية من القدماء، أعني محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2005، حيث ذكر الصدق في أصول المثل الأخلاقية عند العرب، ثم جعل التنزه من الكذب والاستكثار من الصدق فروعا لتلك الخلال المحمودة في الشعر، ولم يذكر (الابتيار والابتهار): 18.

(16) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 72/1.

(17) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1997: 466/2.

(18) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت: 404/2.

(19) فؤاد المرعي، الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام، دار الأبجدية، دمشق، ط1، 1989: 91.

(20) أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط1، 1302هـ: 20.

(21) المرجع السابق: 17.

(22) كمال اليازجي، في الشعر العربي القديم: الأضداد الخلقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د.ت: 104.

(23) الشنفرى الأزدي، ديوانه، تقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996: 57. الخالف: المتخلف عن القتال. يتغزل: يحدّث النساء ويُراودهنّ.دارية: ملازما داره. الداهن: الذي يدهن نفسه بالطيب.

(24) عمرو بن معديكرِب الزّبيدي، شعر عمرو بن معدي كرِب الزّبيدي، جمع: مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية،دمشق، د.ط، 1985: 79-80.

(25) قدامة بن جعفر، نقد الشعر: 43.

(26) سورة يوسف، الآية: 23.

(27) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998: 431/2.

(28) يوسف، الآية: 31.

(29) لتفاصيل أكثر حول الموضوع، ينظر: أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، ط.1، بيروت، 2004: 377/15.

(30) المرجع السابق: 251/35-252.

(31) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: حسن تميم، محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط5، 1994: 371.

(32) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 212/1.

(33) المرجع السابق: 153/1.

(34) المرجع السابق: 71/1.

(35) المرجع السابق: 71/1.

(36) المرجع السابق: 113/1.

(37) المرجع السابق: 113/1.

(38) المرجع السابق: 95/1.

(39) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب: 404/2.

(40) ينظر الخبر بتمامه في الأغاني: 77/1.

(41) عمر فروخ، ابن أبي ربيعة المخزومي وفصل في تطور الغزل والنسيب في الشعر العربي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1983: 70.

(42) ذكر صاحب الأغاني أخبارا تدل على افتتان النساء بجمال الرجال. ينظر مثلا ترجمته لوضاح اليمن، وعشق أم البنين له؛ لجماله: 154/6، وترجمته ليزيد بن الطثرية، حيث قال: "كان من أحسن من مضى وجها وأطيبه حديثا، وأن النساء كانت مفتونة به": 114/8.

(43) ينظر الخبر بتمامه في الأغاني: 126/1-127.

(44) اختلف في مكان ولادته أهو مكة أم المدينة أم الجند، حيث كان والده، فرأى الدكتور جبرائيل جبور أنه ولد في المدينة. ينظر: جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعه: حياته، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1981م: 24/2. في حين رجح الدكتور شوقي ضيف أنه ولد في مكة. ينظر: شوقي ضيف، العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ط29، د.ت: 349.

(45) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 62/1-64.

(46) ينظر: المرجع السابق: 67/1.

(47) للتفاصيل ينظر: جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة: حياته: 16/2.

(48) يوسف خليف، في الشعر الأموي: دراسة في البيئات: 152.

(49) عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة،القاهرة، د.ط، 2013: 25.

(50) خليل محمد عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت: 42.

(51) المرجع السابق: 43.

(52) علي نجيب عطوي، عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل الصريح في العصر الأموي، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت: 35.

(53) يوسف خليف، في الشعر الأموي: دراسة في البيئات: 155.

(54) يوسف خليف، تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1976م: 83.

(55) ينظر مثلا: كتاب يوسف خليف، في الشعر الأموي - دراسة في البيئات: 152، وكتابه: تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي: 76، وما بعدها. وشوقي ضيف، العصر الإسلامي: 347، وما بعدها، وكتابه: الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية، دار المعارف، القاهرة، ط4، د.ت: 89، وما بعدها.

وجبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعه: حياته127/2 وما بعدها، وكتابه: عمر بن أبي ربيعه: حبه وشعره، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1981: 33/3، وما بعدها. وشكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة، دار العلم للملايين، بيروت،ط7، 1986م: 339، وما بعدها. وغيرها من الكتب التي وصفت الاختلاط في مجتمع الحجاز في عصر بني أمية.

(56) عباس محمود العقاد،شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة: 18.

(57) عزّ الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، ط4، د.ت: 36.

(58) لطفي الشربيني، عادل صادق، معجم مصطلحات الطب النفسي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ومركز تعريب العلوم الصحية، الكويت، ط4، د.ت: 114.

(59) المرجع السابق: 119.

(60) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة: 404.

(61) أمل طاهر محمد نصير، التفسير السياسي لشعر عمر بن أبي ربيعة: قراءة جديدة. المجلة العربية للآداب، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية، المجلد الثالث، العدد الأول، 2006: 109.

(62) جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعه: حبه وشعره: 430/3.

(63) يوسف خليف، تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي: 87.

(64) شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية: 250.

(65) جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة: حبه وشعره: 393/3.

(66) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 71/1.

(67) المرجع السابق: 127/1.

(68) المرجع السابق: 129/1.

(69) المرجع السابق: 81/1.

(70) المرجع السابق: 114/1.

(71) المرجع السابق: 123/1.

(72) جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة: حبه وشعره: 389/3.

(73) شوقي ضيف، الشعر والغناء في المدينة ومكة لعصر بني أمية: 257.

(74) جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعة: حبه وشعره: 430/3.

(75) أحمد ياسين، النرجسية في شعر عمر بن أبي ربيعة. مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية: سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد36، العدد4، 2014: 96.

(76) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1988م: 177. النيّر: أراد به فمها. الخصر: البارد. الشتيت: المتفرق، أراد أن أسنانها ليست متلاصقة. أحوى: فيه سمرة. الأشر: تحزيز في الأسنان.

(77) المرجع السابق: 221. المُتبّلة: التامة الخلق. صفراء: أراد أنها تكون في هذا اللون وقت العشي، وهذا مما تمدح فيه النساء. مهضومة الحشا: ضامرته. اعتدلت: تساوت، فنصفها الأعلى كغصن البان، ونصفها الأسفل ككثيب الرمل. لبّدته: ألزقت بعضه في بعض. السجوم: المطر. الجيد: العنق. الشادن: الظبي. البغام: صوت الظباء. أراد أنها أشبهت الظباء في طول الجيد وجمال العين.

(78) ينظر مثلا: خليل محمد عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعه، وفيه فصل عن المرأة في شبابه (صواحبه): 45 وما بعدها، وفصل عن مظاهر الجمال في المرأة في شعر عمر: 102، وما بعدها.

(79) ينظر: رفيقة بن رجب، أنموذج الجمال في شعر عمر بن أبي ربيعة: دراسة أسلوبية إحصائية. مجلة العلوم الإنسانية بجامعة البحرين.العدد23، 2014: 215.

(80) من ذلك قوله في الأغاني: "كنت وأنا شاب أُعشق ولا أعشق": 70/1.

(81) ينظر: أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت، د. ط، د.ت: 522-523.

(82) عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي. دار النهضة العربية، بيروت، د.ط، 1987: 169.

(83) عبد الرقيب أحمد البحيري،الديناميات الوظيفية للشخصية النرجسية، مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2007: 22.

(84) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 100.

(85) المرجع السابق: 107. الأتراب: جمع ترب وهي اللدة المساوية في السن. طائفين: أراد بهم الحراس. سمّر: الذين يسمرون ويتحدثون.

(86) المرجع السابق: 222. الدموع سجوم: منهملة منسكبة. اربعن شيئا: اكففن، أو انتظرن، أو ارفقن.

(87) أحمد عمارة، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست، طنطا، ط1، 1993م: 63.

(88) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 206. عجمت عليه: من (عجم فلان الكتاب) إذا نقطه ليُفهم وتسهل قراءته.

(89) ينظر خبره مع الثريا في الأغاني: 146/1.

(90) ينظر: عبد الله بن مسلم بن قتيبه، الشعر والشعراء: 374.

(91) ذكر الأبيات أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: 161/1. قوهيّة: قطعة قماش من صنع قوهستان.

(92) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 468. تأطر: أصله تتأطر، أي تتثنى وتتبختر.

(93) المرجع السابق: 490.

(94) ينظر أخبار الأحوص في: الأغاني: 167/4. والبُلُس: غرائر كبار تُحشى بالتبن ويجعل عليها من يراد التنكيل والتشهير به.

(95) أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه. شرح وتصحيح: أحمد عارف الزين. مطبعة العرفان، صيدا، د.ط، 1331هـ: 58.

(96) سعد عماد وادي، أثر الوعي واللاوعي في الإفصاح عن اللذة في شعر عمر بن أبي ربيعة، مجلة العلوم الإنسانية بكلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل، المجلد23، العدد1، 2016م: 23.

(97) ينظر: أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 71/1.

(98) سعد عماد وادي، أثر الوعي واللاوعي في الإفصاح عن اللذة في شعر عمر بن أبي ربيعة: 22.

(99) أحمد عمارة، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي: 52.

(100) أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني: 70/1.

(101) عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة: 26.

(102) المرجع السابق: 25.

(103) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 118.

(104) المرجع السابق: 93.

(105) المرجع السابق: 213. الحفيظة هنا التحفظ والاختفاء عن أعين الرقباء.

(106) المرجع السابق: 468.

(107) المرجع السابق: 151.

(108) شكري فيصل، تطور الغزل من الجاهلية إلى الإسلام، من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة: 408.

(109) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 92.

(110) شوقي ضيف، العصر الإسلامي: 351.

(111) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 280.

(112) المرجع السابق: 288.

(113) المرجع السابق: 310.

(114) المرجع السابق: 324.

(115) المرجع السابق: 313.

(116) المرجع السابق: 471.

(117) عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة: 36.

(118) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة: 458. مشرف الذرى: مرتفع الأعالي. سبتا: أي قطعا.

(119) المرجع السابق: 469.

(120) المرجع السابق: 478.

(121) المرجع السابق: 146. الكاشح: المُبغض الكاره.

(122) المرجع السابق: 150. والبيت من قصيدة يصف فيها كتابا جاءه من إحدى صواحبه.

## قائمة المصادر والمراجع:

1) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، د.ط، د.ت، ج/2.

2) أبو الحسن أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1979، ج/1.

3) أبو الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، شرح وتصحيح: أحمد عارف الزين. مطبعة العرفان، صيدا، د.ط، 1331هـ.

4) أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والأدب، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1997، ج/2.

5) أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 1998،ج/2.

6) أبو الفرج علي بن الحسين الأصفهاني، كتاب الأغاني، دار صادر، بيروت، د.ت، د. ط، ج/1.

7) أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد الشعر، مطبعة الجوائب، قسطنطينة، ط1، 1302هـ.

8) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ط، د.ت.

9) أحمد بن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه محمد، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة المنورة، د.ط، 2004، مجلد15.

10) أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، دار القلم، بيروت، د. ط، د.ت.

11) أحمد عمارة، الحوار في القصيدة العربية إلى نهاية العصر الأموي، التركي للكمبيوتر وطباعة الأوفيست، طنطا، ط1، 1993.

12) أحمد مطلوب، معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، القاهرة، ط1، 1989، ج/2.

13) أحمد ياسين، النرجسية في شعر عمر بن أبي ربيعة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية: سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية، المجلد36، العدد4، 2014.

14) أمل طاهر محمد نصير، التفسير السياسي لشعر عمر بن أبي ربيعة: قراءة جديدة، المجلة العربية للآداب، وهي مجلة علمية محكمة تصدر عن كليات الآداب في الجامعات أعضاء اتحاد الجامعات العربية، المجلد الثالث، العدد الأول، 2006.

15) جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعه: حياته، دار العلم للملايين، بيروت، ط3، 1981، ج/2.

16) جبرائيل جبور، عمر بن أبي ربيعه: حبه وشعره، دار العلم للملايين، ط3، 1981، ج/3،.

17) خليل محمد عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعه، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، د.ت.

18) رفيقة بن رجب، أنموذج الجمال في شعر عمر بن أبي ربيعة: دراسة أسلوبية إحصائية. مجلة العلوم الإنسانية بجامعة البحرين. العدد23، 2014.

19) سعد عماد وادي. أثر الوعي واللاوعي في الإفصاح عن اللذة في شعر عمر بن أبي ربيعة. مجلة العلوم الإنسانية بكلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة بابل. المجلد23، العدد1، 2016.

20) شكري فيصل، تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى عمر بن أبي ربيعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط7، 1986.

21) الشنفرى الأزدي، ديوان الشنفرى، تقديم: طلال حرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1996.

22) عباس محمود العقاد، شاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، د.ط، 2013.

23) عبد الرقيب أحمد البحيري، الديناميات الوظيفية للشخصية النرجسية،مكتبة الإنجلو المصرية، القاهرة، ط1، 2007.

24) عبد القادر القط، في الشعر الإسلامي والأموي، دار النهضة العربية، د.ط، 1987.

25) عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق: حسن تميم؛ محمد عبد المنعم العريان، دار إحياء العلوم، بيروت، ط5، 1994م.

26) عزّ الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، مكتبة غريب، القاهرة، ط4، د.ت.

27) علي نجيب عطوي، عمر بن أبي ربيعة شاعر الغزل الصريح في العصر الأموي،دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.

28) عمر بن أبي ربيعة المخزومي، شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط4، 1988.

29) عمر فروخ، ابن أبي ربيعة المخزومي وفصل في تطور الغزل والنسيب في الشعر العربي، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت، د.ط، 1983.

30) عمرو بن معديكرِب الزّبيدي، شعر عمرو بن معدي كرِب الزّبيدي، جمع: مطاع الطرابيشي، مجمع اللغة العربية، دمشق، ط2، 1985.

31) فؤاد المرعي، الوعي الجمالي عند العرب قبل الإسلام، دار الأبجدية، دمشق، ط1، 1989.

32) كمال اليازجي، في الشعر العربي القديم: الأضداد الخلقية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، د.ط، د. ت.

33) لطفي الشربيني، عادل صادق، معجم مصطلحات الطب النفسي. الكويت: مؤسسة الكويت للتقدم العلمي ومركز تعريب العلوم الصحية، د. ط، د.ت.

34) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تصحيح: الشيخ محمد التركزي الشنقيطي، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1978، ج/1.

35) محمد بن أحمد بن طباطبا العلوي، عيار الشعر، تحقيق: عباس عبد الساتر، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 2005م.

36) محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: إبراهيم الترزي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د.ط، 1972، ج/10.

37) يوسف خليف، تاريخ الشعر العربي في العصر الإسلامي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، د.ط، 1976.

38) يوسف خليف، في الشعر الأموي: دراسة في البيئات، مكتبة غريب، القاهرة، د.ط، د.ت.